

حفظ القلب: مقصد مُكَمَّل في إطار مقاصد الشريعة الإسلامية
A Complementary Maqāṣid in the Framework of Islamic Sharī'ah Objectives

عبدالله علي أحمد الملاهي Abdellah Ali Ahmed AL-Melahi
International Islamic University Malaysia
aalmelahi@yahoo.com

ملخص البحث

Article Progress

Received: 6 Jan 2025
Revised : 24 Jan 2025
Accepted: 9 Feb 2025

* Corresponding
Authors:

**Abdellah Ali Ahmed
AL-Melahi**

E-mail:
aalmelahi@yahoo.com

يهدف هذا البحث إلى إثبات مشروعية اعتبار "حفظ القلب" مقصدًا شرعيًا إضافيًا سادسًا ضمن الضروريات في مقاصد الشريعة الإسلامية والتي هي: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ المال. ينطلق البحث من إشكالية رئيسية تتعلق بإمكانية تصنيف "حفظ القلب" كمقصد كلي في الشريعة، مع بيان أثره في تعزيز المقاصد الأخرى، وتوضيح الأبعاد الفردية، والأسرية، والاجتماعية المرتبطة به. لتحقيق هذا الهدف، استخدم البحث منهجية استقرائية بتحليل النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تؤكد أهمية القلب كمركز للإيمان والأخلاق، مع توظيف المنهج التحليلي والمقارن لبيان العلاقة بين "حفظ القلب" والمقاصد الخمسة الأخرى. توصل البحث إلى عدة نتائج مهمة، من أبرزها أن "حفظ القلب" هو مقصد شرعي أصيل تدعمه النصوص الشرعية، مثل قوله تعالى "إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ" (الشعراء: 89)، وحديث النبي ﷺ: "أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ" (البخاري، 1987، ومسلم، 2000). كما أثبت البحث أن "حفظ القلب" يعزز المقاصد الأخرى، حيث يساهم في حفظ الدين (بالإخلاص)، وحفظ النفس (بالتخلص من الحقد والغضب)، وحفظ العقل (بالوقاية من الشبهات)، وحفظ النسل (بتنقية القلب من الشهوات)، وحفظ المال (بالابتعاد عن الجشع والطمع). خلص البحث إلى أن "حفظ القلب" ليس مقصدًا فرعيًا بل مقصد كلي، حيث إن إصلاح القلب يؤدي إلى صلاح الفرد والأسرة والمجتمع. وأوصى البحث بإدراج "حفظ القلب" ضمن مقاصد الشريعة، مع تعزيز حضوره في

المناهج التربوية والخطاب الديني، ودعا إلى مزيد من الدراسات التطبيقية حول كيفية تفعيل هذا المقصد في الفقه والاجتهاد الشرعي. الكلمات المفتاحية: مقاصد الشريعة، حفظ القلب

ABSTRACT

This research aims to establish the legitimacy of considering **Preserving the Heart "Hifz al-Qalb"** as an independent objective within the overarching objectives of Islamic *Sharī'ah*, alongside the five well-known objectives: preserving religion, life, intellect, lineage, and wealth. The research addresses a central issue concerning the possibility of classifying "Preserving the Heart" as a comprehensive *Sharī'ah* objective. It further explores its impact on enhancing the other *Sharī'ah* objectives and highlights its implications on the individual, family, and societal levels. To achieve this goal, the research employed an inductive methodology by analyzing Quranic verses and Prophetic Hadiths that emphasize the significance of the heart as the centre of faith and morality. The research also utilized analytical and comparative approaches to demonstrate the relationship between "Preserving the Heart" and the five established objectives of *Sharī'ah*. The research reached several key conclusions, most notably that "Preserving the Heart" is a legitimate and independent *Sharī'ah* objective, supported by explicit textual evidence. This includes Allah's statement: "Except for he who comes to Allah with a sound heart" (Quran, 26:89) and the Prophet Muhammad's ﷺ saying: "Verily, there is a piece of flesh in the body which, if it is sound, the entire body is sound, and if it is corrupt, the entire body is corrupt — truly it is the heart" (Al-Bukhārī, 1987 & Muslim, 2000). The study further proved that "Preserving the Heart" supports the five key *Sharī'ah* objectives by strengthening the preservation of religion (through sincerity), preserving life (by eliminating hatred and anger), preserving intellect (by safeguarding it from doubts), preserving lineage (by protecting the heart from desires), and preserving wealth (by curbing greed and avarice). The research concluded that "Preserving the Heart" is not a subsidiary objective but a comprehensive and independent *Sharī'ah* objective. It emphasized that the purification of the heart leads to the rectification of the individual, family, and society as a whole. The study recommended the inclusion of "Preserving the Heart" as one of the higher objectives of *Sharī'ah*, the integration of its principles into educational curricula and religious discourse, and called for further

applied research on how this objective can be activated within Islamic jurisprudence and contemporary *Sharī'ah*-based rulings.

Keywords: *Maqāsid Al-Sharī'ah*, Preservation of the Heart, *Hifz al-Qalb*

على أعتاب المقاصد

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

في خضم العولة والانفتاح، وبعد أن أصبح العالم كله كقرية واحدة، وفي ظل الثورة التكنولوجية التي اجتاحت حياتنا الملموسة وغير الملموسة، وعلى أعتاب وسائل التواصل الاجتماعي، بدأت تتكشف لنا مشكلات معقدة لم تكن ظاهرة في السابق، أو ربما كانت مستورة عن الأعين. هذه المشكلات، سواء أكانت بمحض إرادة أصحابها أم كانت خارجة عن سيطرتهم وإرادتهم، فرضت علينا ضرورة إعادة النظر في أولوياتنا ومفاهيمنا القيمية والأخلاقية.

ومن خلال مسيرتي العلمية والعملية، وعملي في القطاع الحكومي والخاص والمختلط، إلى جانب مشاركتي في الأندية والاتحادات الطلابية والمجتمعية، وجدت نفسي وجهاً لوجه أمام هذه القضايا. ومن خلال التعامل المباشر معها، نجحت في حل بعضها، بينما بقي البعض الآخر عصياً على الحل المباشر، مما دفعني إلى التفكير والتأمل العميق في الأسباب والجدور.

بل إن هذا الانشغال لم يكن محصوراً في ساعات النهار، بل رافقني حتى في الرؤى الصالحة، وكأتمها رسائل روحية تدفعني للتفكير العميق في ما وراء هذه التحديات النفسية والعاطفية.

وبعد كثير من التأمل، وجدت أن هناك عاملاً مشتركاً غائباً عن التركيز في أغلب معالجاتنا التقليدية؛ فقد ركزنا على العقل بالمعرفة والتعليم، واهتمنا بالأجساد صحةً ورشاقةً، لكننا أهملنا هذا العضو الصغير في الحجم، الخفيف في الوزن، الثقيل في الأثر، إنه القلب.

القلب الذي جعله القرآن الكريم محورًا مركزيًا في حياة الإنسان، وذكره في كثير من المواضع في آياته المباركة، "إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ" (الشعراء: 89). وأكدت السنة النبوية هذا المعنى بقول النبي ﷺ: "أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ" (البخاري، 1987، ومسلم، 2000).

ولعل البعض يتساءل: لماذا القلب وليس النفس؟ أو أليس مقصد النفس في الشريعة كافيًا لحماية الجانب النفسي؟. وأجيب بأن العقل أيضًا جزء من النفس، ولكنه حُصص بمقصد مستقل في الشريعة بسبب مكانته الوظيفية ودوره في التمييز. وبنفس المنطق، فإن القلب يستحق أن يكون له مقصد مستقل، نظرًا لدوره المحوري في الإيمان، والإخلاص، والإرادة، والمشاعر. فهو يحمل بُعدين جوهريين: بُعد مادي ملموس يتعلق بوظيفته الحيوية، وبُعد روحي غير ملموس يتعلق بالإيمان، والمشاعر، والأخلاق.

لقد كان هذا البحث نابغًا من إحساس داخلي عميق، ومن رغبة صادقة في مخاطبة القلوب؛ من القلب.. إلى كل قلب أهمل، أو ضاع، أو ضُيع. إلى كل القلوب التي تحتاج إلى تزكية وتطهير، وإلى كل نفس تتوق إلى السلام والسكينة، أقول لهم: إن الشريعة الإسلامية لم تُغفل أمركم، وإنما تملك الأجوبة الشافية لكل تحدياتكم النفسية والعاطفية.

إنه لمن فضل الله وكرمه أن أتاح لي الفرصة للتفكير والبحث في موضوع "حفظ القلب" كمقصد مُكَمَّل مع المقاصد الخمسة الأصلية، ضمن مقاصد الشريعة الإسلامية. وفي هذا السياق، أضع بين أيدي العلماء الأجلاء هذه المحاولة المتواضعة، معترفًا بأنني لست عالمًا متخصصًا في علم مقاصد الشريعة، ولكنني أسعى للإدلاء بدلوي في هذا المجال، مستعينًا بالله وحده، ثم مستنيرًا بجهود العلماء الأفاضل السابقين والمعاصرين الذين أسهموا في إحياء وتحديد هذا العلم الشريف. ولعل هذا الجهد البسيط يكون خطوة صغيرة تسهم في تطوير هذا المجال، على أمل أن يتلقفها العلماء الأجلاء، فيضيفوا إليها ما يعمقها ويثريها.

أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به كل باحث عن الحقيقة، وكل ساعٍ إلى إصلاح قلبه وحياته. فإن أصبْتُ، فذلك من توفيق الله، وإن أخطأتُ، فمن نفسي والشيطان. والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

المقدمة

تعد مقاصد الشريعة الإسلامية أحد أبرز الأطر التي تعكس البعد الغائي للتشريع الإسلامي، حيث تهدف إلى تحقيق المصالح العامة ودرء المفسدات عن الأفراد والمجتمعات. وقد عرف الإمام يوسف القرضاوي - رحمه الله - مقاصد الشريعة بمعنى "الغايات التي تهدف إليها النصوص من الأوامر والنواهي والإباحات. وتسعى الأحكام الجزئية إلى تحقيقها في حياة المكلفين، أفراداً وأسرّاً وجماعات وأمة" (Al-Qaradāwī, 2008).

ومن أبرز المقاصد التي أقرها العلماء في الشريعة الإسلامية: حفظ الدين، حفظ النفس، حفظ العقل، حفظ النسل، وحفظ المال. وقد أشار الشاطبي - رحمه الله - ذلك حين قال: "فقد اتفقت الأمة - بل سائر الملل - على أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس - وهي: الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل" (Al-Shāṭibī, 1997). هذه المقاصد الخمسة تمثل دعائم أساسية لحفظ كرامة الإنسان وتحقيق العدل في المجتمع، إلا أن النظر في النصوص الشرعية والسياق الاجتماعي الراهن يفتح الباب أمام إمكانية إضافة مقاصد جديدة تواكب تطورات الحياة الإنسانية وتلبي احتياجاتها المتجددة. وقد ناقش الإمام القرضاوي - رحمه الله - هذا الأمر فقال: لدينا هنا بعض الأسئلة حول ما ذكره الأصوليون من مقاصد، مثل: هل حصر المقاصد في الكليات الخمس: حصر تام، أو هناك مقاصد أخرى لم تدخل في هذه الخمس؟، بعض الأقدمين - مثل الإمام القرافي - أدخلوا "العرض" وهو ما أرجحه؛ لتكرار ذكره في الأحاديث: "كل المسلم على المسلم حرام: دمه وعرضه وماله". "إن دماءكم وأعراضكم وأموالكم حرام عليكم.....". ولأنه شرع في

الاعتداء عليه عقوبة معروفة، ذكرها القرآن، هي عقوبة القذف. ويبدو أن مسألة العقوبات كان لها أثرها في تحديد هذه الكليات أو الضروريات (Al-Qaradāwī, 2008). في هذا السياق، يبرز "حفظ القلب" كمقصد مُكَمَّل، له أهميته الجوهرية في التشريع الإسلامي، حيث يُعد القلب محرِّكاً رئيساً للسلوك الإنساني، ومصدرًا للمشاعر والقيم والأخلاق. يشير القرآن الكريم إلى أهمية القلب في قوله تعالى: "إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ" (الشعراء: 89)، كما أوضح النبي ﷺ مركزية القلب بقوله: "أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضَغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ" (البخاري، 1987، ومسلم، 2000). هذه النصوص توضح بجلاء الدور المحوري للقلب في بناء الإنسان الصالح وتحقيق استقامته الأخلاقية، مما يدعم فكرة إدراج "حفظ القلب" ضمن المقاصد الكلية للشريعة.

إذا القلوبُ تنوّرت بنقائها هانتُ على الأبدانِ كلُّ مصاعبِ

مشكلة البحث

رغم اهتمام الفقه الإسلامي بمقاصد الشريعة التي تهدف إلى حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ المال، إلا أن "حفظ القلب" كمقصد شرعي مستقل لم يُعتمد كمقصد شرعي مستقل ضمن المنظومة المقاصدية، رغم الأهمية البالغة التي يشير إليها القرآن الكريم والسنة النبوية في العناية بالقلب كموضوع للإيمان والبصيرة والطمأنينة. تنبع مشكلة البحث من الحاجة إلى إبراز أهمية "حفظ القلب" كركيزة أساسية في التشريع الإسلامي، بما يحقق التكامل بين الجانب القلبي والتشريعي في بناء الفرد والمجتمع. وبالتالي، تنبع الحاجة إلى دراسة هذا الموضوع لاقتراح "حفظ القلب" كمقصد شرعي مكمل يُعنى بالجوانب الإيجابية والسلبية معاً، بما يثري النظرية المقاصدية ويحقق التكامل التشريعي.

تنطلق هذه الورقة البحثية من إشكالية جوهرية تتمثل في التساؤل حول مشروعية اعتبار "حفظ القلب" مقصدًا أصيلاً ضمن مقاصد الشريعة الإسلامية. من هنا، فإن الإشكالية الرئيسية التي يعالجها البحث هي: كيف يمكن اعتبار "حفظ القلب" مقصدًا كليًا من مقاصد الشريعة؟ وما هي الأبعاد الشرعية والفقهية والاجتماعية التي تدعم هذا المقصد؟

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى تحقيق عدة أهداف، أبرزها:

1. تأصيل مشروعية مقصد "حفظ القلب" من خلال تحليل النصوص الشرعية والأقوال الفقهية ذات العلاقة.
2. توضيح علاقة مقصد "حفظ القلب" بالمقاصد الشرعية الخمسة (حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ المال) وكيف يساهم حفظ القلب في تحقيقها.
3. تسليط الضوء على الأبعاد العملية والتطبيقية لمقصد "حفظ القلب" في الأحكام الشرعية والأخلاق الإسلامية.
4. اقتراح آليات لتفعيل مقصد "حفظ القلب" في الواقع المعاصر، سواء في التربية، أو التعليم، أو التشريع.

منهجية البحث

تعتمد الورقة على منهجية استقرائية، حيث يتم استقراء النصوص الشرعية والأدلة النقلية من القرآن والسنة، بالإضافة إلى المنهج التحليلي.

بالإضافة إلى ذلك، تُظهر الدراسات السابقة ندرة تناول موضوع "حفظ القلب" كقصد شرعي مستقل، حيث تركزت أغلب الأبحاث على دراسة مفهوم القلب من منظور روحي أو أخلاقي، دون ربطه بمقاصد الشريعة الكلية. لذلك، فإن هذا البحث يسعى إلى

سد هذه الفجوة العلمية من خلال تقديم رؤية جديدة تدمج بين القيم الروحية، والتشريع الفقهي، والمقاصد العامة للشريعة الإسلامية.

بناءً على ما سبق، تسعى هذه الورقة إلى بيان الأهمية الشرعية والعملية لمقصد "حفظ القلب"، مع توضيح كيفية تفعيله في السياق الاجتماعي والتربوي والاقتصادي. ويؤمل أن يساهم هذا البحث في إثراء النقاش المقاصدي وتقديم إضافة نوعية في فهم النصوص الشرعية واستيعاب أبعادها المقاصدية.

الدراسات السابقة

تشير الدراسات السابقة إلى أهمية القلب في الفكر الإسلامي، حيث تناول ابن تيمية وابن القيم مركزية القلب في وعي الإنسان وسلوكه. كما تطرقت بعض الدراسات المعاصرة إلى العلاقة بين القلب والصحة النفسية. ومع ذلك، لم تتناول أي دراسة "حفظ القلب" كمقصد شرعي مستقل ضمن مقاصد الشريعة، مما يجعل هذا البحث مساهمة جديدة في الفكر المقاصدي. مع العلم بأنه سيتم التطرق إلى الدراسات السابقة من خلال مناقشات مواضيع البحث.

مناقشات ومواضيع البحث:

الموضوع الأول: مفهوم "القلب" في الإسلام وأهميته في التشريع

ماهية القلب في المنظور الشرعي

أولاً: تعريف القلب لغةً واصطلاحاً

يشير القلب في اللغة إلى التحوّل والتغيّر، وقد سمي "القلب" بهذا الاسم لتقلّبه وعدم استقراره على حال واحدة، والقلب مضغة من الفؤاد معلقة بالنياط (Ibn Manẓūr, 1993).

والقَلْبُ: العَضُو الصَّنَوْبَرِيُّ الشَّكْلُ فِي الجَانِبِ الأَيْسَرِ مِنَ الصَّدْرِ (-Ma'jam al-

(Dawha, 2025). "والقلب لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان وهو المدرك العالم العارف من الإنسان وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب ولها علاقة مع القلب الجسماني" (Al-Ghazālī, 1993). ويشير القلب إلى الجوهر الداخلي للإنسان، وهو محل الإيمان، ومحل الكفر والنفاق، والتقوى والفسوق، ومركز النيات والعواطف.

جاء ذكر "القلب" في القرآن الكريم في مواضع عديدة، منها قوله تعالى: "هُم قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا" (الأعراف: 179)، مما يدل على أن القلب ليس مجرد عضو بيولوجي، بل هو أداة للفهم والإدراك. كما أكد النبي ﷺ هذا المعنى في الحديث المشهور: "ألا وإن في الجسدِ مُضْغَةً، إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، ألا وهي القلب" (البخاري، 1987، ومسلم، 2000).

ثانياً: العلاقة بين القلب والعقل والنفس

تختلف وجهات النظر حول العلاقة بين القلب والعقل، فبينما يرى البعض أن "العقل" هو الدماغ، تشير النصوص الشرعية إلى أن القلب هو موضع الفهم والإدراك، كما في قوله تعالى: "أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا.." (الحج: 46). ذكر ابن تيمية في مجموع الفتاوى أن العقل ليس حكراً على الدماغ أو القلب، بل هو متعلق بالروح التي لها ارتباط وثيق بالقلب والدماغ معاً. وبين أن الإرادة مقرها القلب، بينما الفكر والنظر مبدؤهما في الدماغ. واستشهد بالآية: "هُم قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا.." (الحج: 46)، ليؤكد على أهمية القلب في عملية التعقل، مع الإقرار بأن للدماغ دوراً في التصور والتفكير (Ibn Taymiyyah, 2004). كما احتج الشافعية بحديث "ألا وإن في الجسدِ مُضْغَةً، إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، ألا وهي القلب" (البخاري، 1987، ومسلم، 2000).. لتأكيد أن أصل العقل يكمن في القلب، وأن ما يتواجد في الرأس من مظاهر التفكير هو امتداد له، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: "هُم قُلُوبٌ لَا

يَفْقَهُونَ بِهَا" (الأعراف: 179)، وقد نُقل هذا الرأي أيضاً عن بعض الفلاسفة والمتكلمين. أما رأي الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، فهو أن العقل مقره الدماغ، ويتفق معه الأطباء في هذا الرأي، حيث استدلووا على ذلك بأن فساد الدماغ يؤدي إلى فساد العقل. وبحسب الطب والتشريح الحديث، فإن الدماغ يُعتبر المصدر المباشر للتفكير، حيث تصدر منه الأوامر التي تتحكم في الحواس وتوجهها (Al-Bugha & Musto, 2010).

أما العلاقة بين القلب والنفس، فهي علاقة تكاملية، حيث يمثل القلب الجانب الروحي والأخلاقي للإنسان، في حين تمثل النفس المصدر الرئيسي للشهوات والرغبات. ومن هنا، يظهر دور القلب في توجيه النفس نحو الخير أو الشر، كما في قوله تعالى: " وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8) " (الشمس: 7-8).

مكانة القلب في النصوص الشرعية

أولاً: الأدلة من القرآن الكريم

ورد ذكر القلب في القرآن الكريم في مائة واثنان وثلاثون موضعاً في القرآن الكريم، مما يدل على مكانته العظيمة. ومن أبرز الأدلة التي تؤكد أهمية القلب:

1. طهارة القلب معيار للفلاح: يقول الله تعالى: "يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89)" (الشعراء: 88-89). استشف صاحب الظلال من الآية مدى إدراك إبراهيم عليه السلام حقيقة ذلك اليوم. وإدراكه كذلك لحقيقة القيم. فليست هنالك من قيمة في يوم الحساب إلا قيمة الإخلاص، إخلاص القلب كله لله، وتجرده من كل شائبة، ومن كل مرض، ومن كل غرض، وصفائه من الشهوات والانحرافات، وخلوه من التعلق بغير الله. فهذه سلامته التي تجعل له قيمة ووزناً، يوم لا ينفع ما ولا بنون، ولا ينفع شيء من هذه القيم الزائلة الباطلة، التي يتكالب عليها المتكالبون في الأرض؛ وهي لا تزن شيئاً في الميزان الأخير!

(Qutb,2003). إن هذه الآية تشير إلى أن سلامة القلب هي أحد أسباب النجاة يوم القيامة.

2. القلب محل الإيمان والكفر: يقول الله تعالى: "فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ" (الحج: 46)، مما يدل على أن العمى المعنوي يصيب القلب، وهو عمى الإدراك والبصيرة. وقد جاء في تفسير القرطبي؛ أي فإن الأبصار لا تعمى. لا تعمى الأبصار أي أبصار العيون ثابتة لهم. ولكن تعمى القلوب التي في الصدور أي عن درك الحق والاعتبار (Al-Qurtubī, 2006).

3. القلب مصدر الفهم والتعقل: كما في قوله تعالى: "هُم قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا" (الأعراف: 179)، حيث يؤكد النص القرآني أن القلب هو أداة للفهم والإدراك. قال الطبري في تفسير الآية.. لهؤلاء الذين ذرأهم الله لجهنم من خلقه قلوب لا يتفكرون بها في آيات الله، ولا يتدبرون بها أدلته على وحدانيته، ولا يعتبرون بها حُجَجَه لرسله (Al-Ṭabarī, 2001).

ثانياً: الأدلة من السنة النبوية

تضمنت السنة النبوية إشارات واضحة إلى أهمية القلب في حياة المسلم، ومن أبرز الأحاديث التي تناولت ذلك:

1. صلاح القلب هو أساس صلاح الإنسان: في الحديث المشهور، قال النبي ﷺ: "ألا وإن في الجسدِ مُضْغَةً، إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، ألا وهي القلب" (البخاري، 1987، ومسلم، 2000). إن صلاح الجسد يتوقف على صلاح القلب، الذي يُعتبر المصدر الأساسي لحياة الإنسان، حيث يضخ الدم وينعكس تأثيره على الجسد والفكر. يرتبط الحديث النبوي بفكرة صلاح القلب المعنوي، أي نقاء النفس والسريرة، كما إن صلاح القلب يتحقق بوسائل روحية، منها قراءة القرآن بتدبر، قيام الليل، أكل الحلال، ومجالسة الصالحين، كما أن القلب السليم

هو الخالي من أمراض الباطن كالحسد والكبر، والمتعلق بمحبة الله وخشيته. ويؤكد النص أن صلاح القلب يؤدي إلى صلاح الجوارح، حيث تتجه نحو الخير وتبتعد عن المعاصي (Al-Bugha & Musto, 2010). يتضح من الحديث ومعانية أن صلاح القلب ينعكس على سلوك الإنسان وأفعاله.

2. **التقوى محلها القلب:** قال النبي ﷺ: "التقوى هاهنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات... (مسلم، 2000). والتقوى في القلب وأصله الخوف (Al-Ghazālī, 1993). ويظهر هذا الحديث أن التقوى ليست مجرد مظاهر ظاهرية، بل هي شعور باطني يرتبط بالقلب.

3. **أهمية النية القلبية في العبادات:** جاء في حديث النبي ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى" (رواه البخاري، 1987، ومسلم، 2000). "الأعمال بالنيّات؛ النيات: جمع نية وهي: القصد. وشرعاً: العزم على فعل العباداة تقرّباً إلى الله تعالى، ومحلها القلب، فهي عمل قلبي ولا تعلق للجوارح بها" (Al-'Uthaymīn, 2004). يدل هذا الحديث على أن صلاح العمل مرتبط بصلاح النية، ومكان النية هو القلب.

وظائف القلب في حياة الإنسان

أولاً: الوظيفة الروحية والإيمانية

القلب هو مصدر الإيمان، ومحل الإخلاص، ومكان التقوى، ولذلك فإن الشرع الإسلامي ربط صلاح الإنسان بصلاح قلبه. قال الله تعالى: "إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ". (الشعراء: 89)، مما يدل على أن صلاح القلب شرط أساسي لقبول العمل.

هو القلبُ بابُ الروحِ، فانظرُ حاله

أهوى لِعُرْجُونٍ أم ارتقى لِمَعَارِجِ

ثانياً: الوظيفة الأخلاقية

القلب هو مصدر المشاعر والقيم الأخلاقية مثل الرحمة، والحب، والكراهية، والغيرة. وعندما يصبح القلب نقيًا، تنعكس تلك النقاءات على السلوك البشري. قال النبي ﷺ: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً" (رواه البخاري، 1987، ومسلم، 2000). والمقصود هنا أن الأخوة الإيمانية تنبع من المحبة القلبية.

ثالثاً: الوظيفة النفسية

القلب هو موطن الانفعالات النفسية مثل الفرح، والحزن، والخوف، والرجاء. قال الله تعالى: "الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ" (الرعد: 28). جاء في تفسير السعدي، أنه تعالى ذكر المؤمنين فقال (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ) أي: يزول قلقها واضطرابها، وتحضرها أفراحها ولذاتها. (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) أي: حقيق بها وحرِّيٌّ أن لا تطمئن لشيء سوى ذكره، فإنه لا شيء ألد للقلوب ولا أشهى ولا أحلى من محبة خالقها، والأنس به ومعرفته، وعلى قدر معرفتها بالله ومحبتها له، يكون ذكرها له، هذا على القول بأن ذكر الله، ذكر العبد لربه، من تسبيح وتهليل وتكبير وغير ذلك. وقيل: إن المراد بذكر الله كتابه الذي أنزله ذكرى للمؤمنين، فعلى هذا معنى طمأنينة القلوب بذكر الله: أنها حين تعرف معاني القرآن وأحكامه تطمئن لها، فإنها تدل على الحق المبين المؤيد بالأدلة والبراهين، وبذلك تطمئن القلوب، فإنها لا تطمئن القلوب إلا باليقين والعلم، وذلك في كتاب الله، مضمون على أتم الوجوه وأكملها، وأما ما سواه من الكتب التي لا ترجع إليه فلا تطمئن بها، بل لا تزال قلقة من تعارض الأدلة وتضاد الأحكام. (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا) وهذا إنما يعرفه من خبر كتاب الله وتدبره، وتدبر غيره من أنواع العلوم، فإنه يجد بينها وبينها فرقا عظيما (Al-Sa'dī, 2000). تبيِّن الآية أن القلب يمكن أن يكون مصدر الطمأنينة، وهو أيضًا مصدر القلق والخوف، كما جاء في قوله تعالى: "وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ" (المؤمنون: 60).

رابعاً: الوظيفة الفكرية والعقلية

يؤكد القرآن الكريم أن القلب مسؤول عن التعقل والإدراك، كما في قوله تعالى: "أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا" (الحج: 46). وقد بين ابن تيمية (Ibn Taymiyyah, 2004) أن العقل قائم بالنفس وله تعلق بالقلب والدماغ معاً؛ فمبدأ الفكر والنظر في الدماغ، بينما مبدأ الإرادة في القلب، مستشهداً بقوله تعالى: "أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا" (الحج: 46). ويرى أن العقل بوظيفته العلمية والعملية مرتبط بالإرادة، وأصل الإرادة في القلب.

يمكن القول بأن القلب ليس مجرد عضو بيولوجي، بل هو الكيان الروحي والعقلي والأخلاقي الذي يحدد مسار الإنسان في الحياة. دلت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية على أهمية القلب في التشريع الإسلامي، حيث يرتبط الإيمان، والتقوى، والإخلاص بالقلب، وهو ما يجعله مؤهلاً لأن يكون مقصداً مستقلاً ضمن مقاصد الشريعة. فصلاح القلب يؤدي إلى صلاح العمل، وفساده يؤدي إلى فساد الأفعال والأقوال.

تبيّن من خلال هذا القسم أن القلب هو مصدر التمييز بين الخير والشر، وهو محرك السلوك الإنساني، مما يجعله جزءاً لا يتجزأ من المقاصد العامة للشريعة. وقد استدللنا على أهمية القلب في القرآن والسنة، وأوضحنا علاقته بالعقل والنفس، وهو ما يمهد الطريق لتأصيل مقصد "حفظ القلب" في مقاصد الشريعة الإسلامية.

الموضوع الثاني: التأصيل الشرعي لمقصد "حفظ القلب"

الأسس الشرعية لمقصد "حفظ القلب"

أولاً: الأدلة القرآنية الداعمة لمقصد "حفظ القلب"

يحتل القلب موقعاً مركزياً في الخطاب القرآني، حيث تم ذكره في مائة واثنان وثلاثون موضعاً في القرآن الكريم، منها ما هو مفرد ومنها ما هو مثنى ومنها ما هو جمع (Ma'a Allah, 2025). كما أنه أتى بمعنى القلب تارة، ومعنى الرأي والعقل تارة أخرى . وقد نصت الآيات على أهمية طهارة القلب وصفائه كشرط أساسي للفوز في الدنيا والآخرة. من أبرز هذه الأدلة:

1. طهارة القلب شرط للنجاة يوم القيامة

قال الله تعالى: "يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89)" (الشعراء: 88-89). تشير هذه الآية إلى أن القلب السليم هو المعيار الأساسي لقبول العبد عند الله، وليس المال أو الأبناء.. والذي عني به من سلامة القلب في هذا الموضوع: هو سلامة القلب من الشكّ في توحيد الله، والبعث بعد الممات (Al-Ṭabarī, 2001).

2. القلب مصدر من مصادر البصيرة والإدراك

قال الله تعالى: "أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ" (الحج: 46). فسّر صاحب الظلال الآية بأنه، يعرض السياق هذه المشاهد ثم يسأل في استنكار عن آثارها في نفوس المشركين الكفار: أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها؟ أو آذان يسمعون بها؟ فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور! إن مصارع الغابرين حيالهم شاخصة موحية، تتحدث

بالعبر، وتنطق بالعظاات .. (أفلم يسيروا في الأرض) فيروها فتوحي لهم بالعبرة ؟ وتنطق لهم بلسانها البليغ ؟ وتحدثهم بما تنطوي عليه من عبر ؟ : فتكون لهم قلوب يعقلون بها ، فتدرك ما وراء هذه الآثار الدوارس من سنة لا تتخلف ولا تبدل. أو آذان يسمعون بها . فتسمع أحاديث الأحياء عن تلك الدور المهدمة والآبار المعطلة والقصور الموحشة ؟. أفلم تكن لهم قلوب ؟ فإنهم يرون ولا يدركون ، ويسمعون ولا يعتبرون "فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور" ! ويعمن في تحديد مواضع القلوب: التي في الصدور زيادة في التوكيد، وزيادة في إثبات العمى لتلك القلوب على وجه التحديد ! ولو كانت هذه القلوب مبصرة لجاشت بالذكرى، وجاشت بالعبرة ، وجنحت إلى الإيمان خشية العاقبة المائلة في مصارع الغابرين، وهي حولهم كثير. ولكنهم بدلاً من التأمل في تلك المصارع ، والجنوح إلى الإيمان، والتقوى من العذاب .. راحوا يستعجلون بالعذاب الذي أخره الله عنهم إلى أجل معلوم (Quṭb,2003).

توضح الآية أن القلب يلعب دورًا محوريًا في الفهم والإدراك، بالتكامل مع الدماغ. فساد القلب بالشبهات والشهوات يؤثر على الإرادة، مما يؤدي إلى خلل في الفهم والتصوير، وهذا يُبرز أهمية حفظ القلب من الانحرافات التي تُعيق البصيرة.

3. القلوب موضع القسوة واللين

قال الله تعالى: "ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً.." (البقرة: 74). قوله تعالى: (ثم قست قلوبكم) يبست وجفت، جفاف القلب: خروج الرحمة واللين عنه، وقيل: غلظت، وقيل: اسودت. (من بعد ذلك) من بعد ظهور الدلالات. قال الكلبي: "قالوا بعد ذلك: نحن لم نقتله، فلم يكونوا قط أعمى قلباً ولا أشد تكذيباً لنبيهم منهم عند ذلك". (فهى) أي في الغلظة والشدة. (كالحجارة أو أشد قسوة) (Al-Baghawī, 2002).

تشير هذه الآية إلى أثر القسوة القلبية في الانحراف عن الدين، وتُظهر أهمية العمل على حفظ القلب من القسوة التي تؤدي إلى الابتعاد عن التعاليم الإلهية.

4. القلوب تصاب بالمرض كما تصاب الأجساد

قال الله تعالى: "فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا..." (البقرة: 10). الآية "فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا" تشير إلى أن المرض المقصود هو مرض النفاق والشك في الدين، كما وضَّح السلف مثل ابن عباس ومجاهد وغيرهم. هذا المرض ليس جسدياً، بل يتمثل في الريبة والنفاق الذي أصاب قلوب المنافقين. وزيادة المرض تعني أن الله يعاقبهم بزيادة شكهم وضلالهم نتيجة إصرارهم على الكفر والنفاق، وهو ما يتماشى مع قاعدة "الجزاء من جنس العمل". وبالتالي، فإن استمرارية هذا المرض في قلوبهم تؤدي إلى تعميق ضلالهم، كما قال الله في مواضع أخرى "والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم" (Ibn Kathīr, 1999). في هذه الآية، يوضح الله تعالى أن القلوب قد تُصاب بالمرض المعنوي، كالشك، النفاق، الحقد، والحسد. وحفظ القلب هنا يعني حمايته من الأمراض المعنوية التي تؤدي إلى فساد الدين والنفس.

ثانياً: الأدلة النبوية على أهمية "حفظ القلب"

تشير السنة النبوية إلى أهمية القلب في حياة المسلم، وأن سلامته وطهارته معيار لصلاح الإنسان كله. ومن الأحاديث الداعمة لهذا المقصد:

1. حديث "المضغة" قال النبي ﷺ: "ألا وإن في الجسدِ مُضغَةً، إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجسدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجسدُ كُلُّهُ، ألا وهي القلب" (البخاري، 1987، ومسلم، 2000). يبرز هذا الحديث مركزية القلب في جسم الإنسان، حيث يُعد القلب "القائد" الذي يؤثر في صلاح الإنسان أو فساده. هذا النص يؤصل لفكرة

حفظ القلب لأن حفظه يعني صلاح باقي الأعضاء، وهو ما يدعم اعتباره مقصدًا مستقلًا في الشريعة.

وفي شرح الحديث كما جاء في الوافي، بأن صلاح الجسد يتوقف على صلاح القلب، الذي يُعتبر المصدر الأساسي لحياة الإنسان، حيث يضح الدم وينعكس تأثيره على الجسد والفكر. يرتبط الحديث النبوي بفكرة صلاح القلب المعنوي، أي نقاء النفس والسرية. كما أن صلاح القلب يتحقق بوسائل روحية، منها قراءة القرآن بتدبر، قيام الليل، أكل الحلال، ومجالسة الصالحين. كما أن القلب السليم هو الخالي من أمراض الباطن كالحسد والكبر، والمتعلق بمحبة الله وخشيته. ويؤكد النص أن صلاح القلب يؤدي إلى صلاح الجوارح، حيث تتجه نحو الخير وتبتعد عن المعاصي (Al-Bugha & Musto, 2010).

2. حديث "التقوى هاهنا" قال النبي ﷺ: "التقوى هاهنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات... (مسلم، 2000). يشير هذا الحديث إلى أن التقوى، وهي أعلى مراتب الإيمان، مصدرها القلب. ولأن التقوى هي جوهر الشريعة، فإن حفظ القلب من الغفلة والرياء والنفاق ضرورة لتحقيق هذا المقصد.

3. حديث "النيات" قال النبي ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى" (رواه البخاري، 1987، ومسلم، 2000). يشير الحديث إلى أن نية الإنسان هي أساس قبول العمل، ومحل النية هو القلب. وبالتالي، فإن حفظ القلب من النوايا السيئة، مثل الرياء، يصبح ضرورة لحفظ العمل ذاته.

ثالثاً: أقوال العلماء والمفسرين في حفظ القلب

- اتفق الفقهاء وعلماء التفسير على أهمية القلب في التشريع. ومن أبرز أقوالهم:
- الشعرواوي: (1997)، يوضح الشيخ الشعراوي أن نزول القرآن الكريم كان على قلب النبي صلى الله عليه وسلم، وليس على أذنه، لأن القلب هو محل التلقي والتأمل،

وهو المركز الرئيسي الذي يُضخّ منه الدم لتوليد الطاقة في الجسم. يشير إلى أن الأذن مجرد وسيلة عبور، لكنها تفقد قيمتها إذا لم يعي القلب ما تسمعه. ولذلك قال تعالى: **"..نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبِكَ.."** (البقرة: 97)، دلالة على أن النبي كان مهياً لتلقي الوحي مباشرة دون الحاجة إلى العبور بالأذن.

القلب، بحسب الشعراوي، هو مستقر العقيدة ومحل التكليف، حيث تُعرض على العقل نتائج وسائل الإدراك المختلفة كالسمع والبصر واللمس، وبعد أن يختار العقل، تستقر القضية في القلب كعقيدة ثابتة. ومن هنا تأتي أهمية القلب في الدين، إذ جعله الله محل التقوى كما في قوله تعالى: **"فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ"** (الحج: 32).

ويستشهد الشعراوي بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: **"أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضَغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ"**. كما أشار إلى أن القرآن الكريم باشر قلب النبي مباشرة، مما جعله يتقى آيات كثيرة دفعة واحدة، ويقرؤها كما أوحيت إليه دون تغيير أو ارتباك، لأن قلبه كان منتبهاً ومستعداً للوحي بفضل اصطفاء الله له (Al-Sha'rāwī, 1997).

• **العز بن عبد السلام (1991)**، وصف القلب بأنه أكثر الأمور تقلباً في الصفات والأحوال، حيث يتأثر بتغيرات متعددة مثل: الخواطر، والمشاعر، والكراهية، والمحبة، والإيمان، والكفر، والخوف، والرجاء، والفرح، والحزن، وغيرها من الحالات النفسية والروحية. هذه التقلبات جعلت النبي صلى الله عليه وسلم يدعو: **"يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك"**. وقد سُمِّي القلب بهذا الاسم لكثرة تقلبه من حال إلى حال. كما يشير إلى أن الخواطر وحديث النفس ليست محلاً للعقاب، لأنها غالباً ما تطرأ على الإنسان دون إرادته، ولا يمكن السيطرة عليها بشكل كامل. وبالتالي، لا يُكَلَّف الإنسان بما يشق اجتنابه أو يصعب التحكم فيه. أما التكليف الشرعي، فهو يبدأ بالعزائم والقصود، حيث يكون العزم على الحسنات أمراً حسناً، والعزم على السيئات قبيحاً، بينما العزم على الأمور المباحة مقبول وغير ممنوع.

كما أن العالم الجليل العز بن عبدالسلام وضح أن القلوب هي محل التكاليف ومصدرها الأساسي في حقوق الله عز وجل. وأول واجب على الإنسان، بعد التأمل والتفكير، هو معرفة الله وصفاته، والتي تُعتبر شرطاً أساسياً لصحة جميع العبادات والطاعات. ويشير أيضاً إلى أن كل الطاعات والعبادات شرعت لتحقيق إصلاح القلوب والأجساد ولمنفعة العباد في الدنيا والآخرة، سواء عن طريق الأسباب أو المباشرة. كما يبرز أن صلاح الأجساد يتوقف على صلاح القلوب، وأن فساد الأجساد يتوقف على فسادها. واستدل بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: "ألا وإن في الجسد مُضغَةً، إذا صَلَحَت صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَت فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألا وهي القلب". القلب، إذاً، إذا صلح بمعرفة الله وحسن الأحوال والأعمال، أصلح الجسد بالطاعة والاستسلام. وإذا فسد بالجهل وسوء الأحوال والأعمال، أفسد الجسد كله بالفسوق والعصيان (Ibn 'Abd al-Salām, 1991).

يتضح من أقوال العلماء والمفسرين، مثل العز بن عبد السلام، والشعراوي، أن القلب هو محور أساسي في التشريع الإسلامي، كونه محل التكاليف ومصدر الفهم والإدراك. هذه الأهمية تؤكد ضرورة حفظ القلب، ليس فقط كعضو مادي، بل كمركز للوعي الروحي والبصيرة الأخلاقية. ولأن صلاح القلب ينعكس على الجسد والمجتمع، فإن الاعتناء به وحمايته من الفساد يُعد جزءاً لا يتجزأ من تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية.

علاقة "حفظ القلب" بمقاصد الشريعة الخمسة

أولاً: علاقة "حفظ القلب" بحفظ الدين

- صلاح القلب هو أساس صلاح الدين: يقول الله تعالى: "إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ" (الشعراء: 89). إن صلاح القلب يؤدي إلى الإخلاص في العبادة واستقامة العمل، وهو ما يعزز حفظ الدين.
- القلب هو محل الإيمان: كما قال النبي ﷺ: "التقوى هاهنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات... (مسلم، 2000). إن الإيمان ينبع من القلب، ولذلك فإن تزكية القلب وتقواه شرط أساسي في تحقيق الإيمان الصادق.
- حماية القلب من الشبهات والشهوات: الشبهات تقود إلى فساد الدين، ولذلك فإن حفظ القلب من الشبهات يعد جزءاً من حفظ الدين.

ثانياً: علاقة "حفظ القلب" بحفظ النفس

- الأمراض القلبية تؤدي إلى جرائم تمس النفس: الغل، والحقد، والعداوة قد تؤدي إلى القتل والاعتداء، مما يؤكد ضرورة حفظ القلب لضمان حفظ النفس.
- الجانب النفسي: سلامة القلب من الخوف والقلق تؤدي إلى الاستقرار النفسي، وهو ما يعزز مقصد حفظ النفس.

ثالثاً: علاقة "حفظ القلب" بحفظ العقل

- القلب هو محل العقل: كما قال الله تعالى: "هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا" (الأعراف: 179). إن القلب هو مركز الفهم والإدراك، وفساده يؤدي إلى ضياع البصيرة والعقل، مما يوقع الإنسان في الجهل والضلال.
- الشبهات الفكرية تنشأ من فساد القلب: إن حفظ القلب من الشكوك والشبهات يضمن بقاء العقل في مساره الصحيح.

رابعاً: علاقة "حفظ القلب" بحفظ النسل

- الأخلاق القلبية تؤثر على النسل: الحب، والعدل، والرحمة في الأسرة نابعة من القلب، ولذلك فإن حفظ القلب يساهم في بناء أسرة مستقرة.
- منع الشهوات المحرمة: حفظ القلب من الشهوة المحرمة يساهم في حفظ النسل من الانحراف.

خامساً: علاقة "حفظ القلب" بحفظ المال

- التطهير من الطمع والجشع: حفظ القلب من الجشع يحفظ المال من الضياع في المعاملات المحرمة.
- تجنب الفساد المالي: فساد القلب يدفع الإنسان إلى السرقة والرشوة، مما يعني أن حفظ القلب يساهم في حفظ المال.

استناداً إلى النصوص الشرعية والأقوال الفقهية، يتضح أن "حفظ القلب" ليس مجرد مبدأ أخلاقي، بل مقصد شرعي جوهري. تدل الأدلة من القرآن والسنة على مركزية القلب في التشريع، كما أشار العلماء إلى دور القلب في ضبط النيات، والأفعال، والسلوك. وعند دراسة علاقته بالمقاصد الخمسة، نجد أن حفظ القلب يعزز حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ المال. لذلك، فإن اعتبار "حفظ القلب" مقصدًا مستقلاً يعد خطوة طبيعية لتوسيع نطاق مقاصد الشريعة.

الموضوع الثالث: أبعاد مقصد "حفظ القلب" وآثاره في الحياة الفردية والاجتماعية

الأبعاد الفردية لحفظ القلب

أولاً: أثر حفظ القلب في صلاح الفرد

يُعَدُّ حفظ القلب عاملاً أساسياً في صلاح الإنسان، حيث يُؤثر القلب في النية، والإرادة، والسلوك. قال النبي ﷺ: "أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضَغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ" (البخاري، 1987، ومسلم، 2000).

أبرز الآثار الفردية لحفظ القلب:

1. نقاء النية والإخلاص في العبادة: لأن النية مقرها القلب، وحفظ القلب من الرياء يؤدي إلى قبول العبادات، كما جاء في الحديث: "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى" (رواه البخاري، 1987، ومسلم، 2000).
2. الاستقرار النفسي والطمأنينة: قال الله تعالى: "الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ" (الرعد: 28). الطمأنينة هي أثر مباشر لحفظ القلب من القلق، والخوف، والغضب، كما أن الذكر المستمر يساهم في استقرار الحالة النفسية للفرد.
3. التحكم في الشهوات والأهواء: من خلال حفظ القلب من الشهوات، يتمكن الإنسان من ضبط غرائزه، فيبتعد عن المحرمات كالفواحش والاعتداء على الآخرين.
4. الوقاية من الأمراض القلبية المعنوية: تؤدي الأمراض كالرياء، والكبر، والحسد، والحقْد إلى انحراف السلوك. قال الله تعالى: "فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ" (البقرة: 10). حفظ القلب من هذه الأمراض يجعل الفرد سويًا في تصرفاته وأخلاقه.

ثانياً: أثر حفظ القلب في النجاح الديني والديني

إن أثر حفظ القلب لا يقتصر على البعد الروحي فقط، بل يمتد إلى الجوانب الدنيوية من حياة الفرد.

- في العمل والمعاملات: الإنسان الذي يحفظ قلبه من الحقد والحسد؛ يحترم حقوق الآخرين، مما يعزز علاقاته المهنية، ويحقق النجاح في عمله.
- في التعليم: القلب النقي؛ يفتح للفرد أبواب التعلم والمعرفة، حيث تزداد القدرة على الفهم والبصيرة. قال الله تعالى: "أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا.." (الحج: 46).

الأبعاد الأسرية لحفظ القلب

أولاً: حفظ القلب ودوره في استقرار الأسرة

الأسرة هي نواة المجتمع، واستقرارها يعتمد على نقاء القلوب بين أفرادها. فالحب، والرحمة، والتسامح، والتضحية، كلها صفات مصدرها القلب. قال الله تعالى: ". وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً.." (الروم: 21).

أبرز الآثار الأسرية لحفظ القلب:

1. تعزيز التفاهم والثقة بين الزوجين: حفظ القلب من الأمراض الروحية، مثل الشك والغيرة المفرطة، يساهم في بناء الثقة المتبادلة، واستقرار الحياة الزوجية، ويقلل من الخلافات الزوجية.
2. تعزيز الحب والرحمة بين أفراد الأسرة: الحب نابع من القلب، وحفظ القلب من الكراهية والضعينة يؤدي إلى التفاهم بين الأزواج، والأبناء، والأقارب.
3. التربية الصالحة للأبناء: الأب أو الأم الذين يحفظون قلوبهم من الكبر، والحقد، والغضب، يربون أبناءهم على التسامح والحب.

ثانياً: أثر حفظ القلب في بناء جيل صالح

القلب النقي لدى الوالدين ينعكس على سلوك الأبناء، فالممارسات التربوية التي يكتسبها الطفل تتأثر بما يراه من والديه.

- **التربية بالقيم:** عندما ينشأ الطفل في بيئة يعمها الحب والتسامح، فإن قلبه ينشأ سليماً من الحقد والحسد، وهو ما ينعكس على أخلاقه المستقبلية.
- **تجنب العنف الأسري:** الغضب المفرط والكراهية تؤدي إلى العنف الأسري، بينما حفظ القلب من هذه الأمراض يحقق بيئة أسرية آمنة.

الأبعاد الاجتماعية لحفظ القلب

أولاً: دور حفظ القلب في تعزيز الأخوة الإسلامية

الأخوة الإسلامية قائمة على المحبة، والود، والتسامح، وهذه القيم نابعة من القلب. قال النبي ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" (البخاري، 1987، ومسلم، 2000).

أبرز الآثار الاجتماعية لحفظ القلب:

1. **الابتعاد عن الحسد والعداوة:** حفظ القلب من الحسد يحفظ المجتمع من التفكك والصراعات، لأن الحسد من أبرز أسباب العداوة بين الناس.
2. **تعزيز روح التسامح والعفو:** القلب النقي يميل إلى العفو عن الآخرين، كما قال الله تعالى: "وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ.." (النور: 22).

ثانياً: دور حفظ القلب في منع الجرائم

- **الجرائم المالية:** مثل السرقة، والرشوة، نابعة من الطمع القلبي، لذلك فإن تطهير القلب من الطمع يساهم في الحد من هذه الجرائم.

- الجرائم العاطفية والأسرية: جرائم القتل الأسري والاعتداءات غالبًا ما تكون نتيجة الغضب المفرط والحقد، وهما مرضان يصيبان القلب، مما يدل على أن حفظ القلب يمنع هذه الجرائم.

الأبعاد الاقتصادية لحفظ القلب

أولاً: حفظ القلب ودوره في ضبط المعاملات المالية

القلب المحفوظ من الطمع، والجشع، والغش، ينعكس على التعاملات المالية، فيكون الإنسان أميناً في المعاملات. قال النبي ﷺ: "من غش فليس منا" (مسلم، 2000).
أبرز الآثار الاقتصادية لحفظ القلب:

1. التزام الأمانة في المعاملات التجارية: القلب الذي يخلو من الطمع والجشع يدفع الإنسان إلى التعامل بصدق وأمانة.
 2. تجنب المعاملات الربوية: القلب المتعلق بحب المال قد يدفع صاحبه إلى التعامل بالربا، بينما حفظ القلب من حب المال الحرام يبعد المسلم عن الربا.
 3. تشجيع الاقتصاد التشاركي والتطوعي: الأفراد ذوو القلوب الطاهرة يميلون إلى الإنفاق في سبيل الله، وهو ما يعزز النشاط الاقتصادي من خلال الزكاة والصدقة.
- يظهر من هذا القسم أن "حفظ القلب" ليس مجرد مقصد فردي، بل هو مقصد شامل يؤثر في الأفراد، والأسرة، والمجتمع، والاقتصاد. على المستوى الفردي، فإن حفظ القلب يضمن نقاء النية، والطمأنينة، وضبط الشهوات. أما على المستوى الأسري، فإنه يعزز المحبة والتفاهم بين أفراد الأسرة، مما يؤدي إلى استقرار الأسرة وتربية جيل صالح. في البعد الاجتماعي، يُعَدُّ حفظ القلب أساساً لتجنب العداوة والجرائم. وأخيراً، في الجانب الاقتصادي، يُسهم حفظ القلب في ضبط المعاملات المالية والابتعاد عن الطمع والجشع. تتضح من هذه الأبعاد ضرورة اعتبار "حفظ القلب" مقصدًا شرعيًا، نظرًا لدوره الجوهرية في تحقيق مقاصد الشريعة الخمسة (حفظ الدين، النفس، العقل، النسل، المال).

حفظ القلب في مواجهة التحديات المعاصرة

شهد العصر الحديث تطورات سريعة في التكنولوجيا ووسائل الاتصال، مما أثر بشكل مباشر على حياة الأفراد والمجتمعات. هذه التطورات، رغم فوائدها العديدة، حملت معها تحديات جديدة تتعلق بالقيم الأخلاقية، والهوية الدينية، والاستقرار النفسي، حيث أصبح القلب عرضة لموجات من المعلومات، والتأثيرات الفكرية والعاطفية التي قد تؤدي إلى انحرافه أو ضعفه.

يُرَكِّز هذا الفصل على كيفية حفظ القلب في ظل التحديات المعاصرة، خاصة فيما يتعلق بتأثير التكنولوجيا ووسائل الإعلام الحديثة، وأمراض القلوب التي تفاقمت في العصر الرقمي، وكيفية تحقيق نقاء القلب رغم هذه التحديات.

القلب والتكنولوجيا الحديثة

أحدثت التكنولوجيا الحديثة تغيرات هائلة في طرق التفكير، والتواصل، والسلوك البشري، وكان لهذه التطورات أثرٌ مباشرٌ على القلب، سواءً من حيث القيم الروحية والإيمانية، أو الصحة النفسية والعاطفية، أو العلاقات الاجتماعية.

أولاً: أثر التكنولوجيا الحديثة على نقاء القلب

أصبحت القلوب في العصر الحديث معرضة لتحديات عديدة بسبب الانفتاح الإعلامي، ووسائل التواصل الاجتماعي، والمحتوى الرقمي المتاح بلا قيود. ويمكن تلخيص أبرز هذه التأثيرات في النقاط التالية:

1. إدمان وسائل التواصل الاجتماعي وانشغال القلب عن ذكر الله

○ تؤدي كثرة استخدام وسائل التواصل الاجتماعي إلى إشغال القلب عن الذكر والتأمل والتفكير، مما يضعف الإيمان. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (الكهف: 28). إن الانشغال

المستمر بالهواتف والشاشات يضعف الخشوع في الصلاة، ويجعل القلب متصللاً بالعالم الافتراضي أكثر من اتصاله بالله.

2. انتشار الفتن والشهوات وضعف الوازع القلبي

○ سهولة الوصول إلى المحتوى غير الأخلاقي أو المغري يؤدي إلى فساد القلب، وزيادة الشهوات، وانحراف القيم. قال النبي ﷺ: "تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا، فأبي قلب أشربها نُكُتت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نُكُتت فيه نكتة بيضاء.." (رواه مسلم). إن الاستخدام غير المنضبط للإنترنت يُعَرِّض القلب للفتن، ويجعل الحرام في متناول اليد، مما يؤثر سلبيًا على التقوى والطهارة القلبية.

3. إدمان المقارنات والحسد عبر مواقع التواصل

○ متابعة حياة الآخرين على وسائل التواصل تُثير الحسد والغيرة والمقارنات السلبية، مما يؤدي إلى سخط القلب وعدم الرضا. قال النبي ﷺ: "إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب" (رواه أبو داود). إن عرض الصور الفاخرة والرحلات والممتلكات يجعل البعض يقع في الرياء، أو الإحباط، أو الشعور بالنقص.

4. انتشار الشبهات الفكرية وزعزعة اليقين القلبي

○ كثرة المعلومات المتضاربة، وانتشار الشبهات عبر الإنترنت، تؤدي إلى اضطراب القلب، وزعزعة الإيمان، وانتشار الإلحاد والشكوكية. قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (إبراهيم: 27). إن عدم امتلاك أساس معرفي قوي يجعل القلب عُرضة للانحراف بسبب الفتاوى غير الموثوقة أو التأويلات الباطلة للنصوص الشرعية.

5. تأثير الألعاب الإلكترونية والعوالم الافتراضية على القلب

- بعض الألعاب الإلكترونية تشجع على العنف، والأنانية، والانعزال، مما يجعل القلب يفقد الإحساس بالواقع ويضعف تعاطفه مع الآخرين. إن الانغماس في العوالم الافتراضية يجعل القلب منفصلاً عن الواقع الاجتماعي والديني، مما قد يؤدي إلى فتور في العبادة والعلاقات الإنسانية.

ثانياً: وسائل حفظ القلب في عصر التكنولوجيا

إن حماية القلب من التأثيرات السلبية للتكنولوجيا أصبحت ضرورة دينية وأخلاقية. ومن أهم الوسائل لتحقيق ذلك:

1. ضبط وقت استخدام وسائل التواصل الاجتماعي

- يجب تحديد أوقات يومية للعبادة والذكر والقراءة، وعدم السماح لوسائل التواصل بالاستحواذ على القلب بالكامل. قال النبي ﷺ: " .. فَإِنْ لَجَسَدُكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنْ لَعِينُكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنْ لَزَوْجُكَ عَلَيْكَ حَقًّا" (رواه البخاري). إن تخصيص وقت محدد لاستخدام الهاتف، وتجنب الإدمان عليه، يحافظ على التوازن النفسي والروحي.

2. اختيار المحتوى النافع والمفيد

- متابعة الصفحات الدينية والعلمية المفيدة، والابتعاد عن الحسابات التي تثير الفتن، أو تحفّز الحسد، أو تضيع الوقت في التوافه. قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه: 114). يجب أن يكون للإنترنت دور في تنمية القلب بالإيمان، وزيادة المعرفة، وليس في إضعافه بالشهوات والشكوك.

3. ممارسة العزلة الرقمية المؤقتة (Detox Digital)

- ينصح بالابتعاد عن الشاشات لفترات منتظمة، والخروج للطبيعة، أو قراءة الكتب، أو ممارسة العبادات. قال النبي ﷺ: "الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسُ،

وَيَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ؛ أَفْضَلُ مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ" (رواه الترمذي). إن تقليل التعرض للضغوط الإلكترونية يساعد على استعادة صفاء القلب وسكينة.

4. التحصين بالذكر والقرآن

○ الذكر المستمر يحفظ القلب من الانشغال بالدنيا، ويبعد عنه وساوس الشيطان. قال الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: 28). إن المواظبة على الأذكار، وخاصة أذكار الصباح والمساء، تساعد في حماية القلب من التشويش الرقمي.

5. مراقبة المحتوى الموجّه للأطفال والشباب

○ يجب على الأهل مراقبة المحتوى الذي يشاهده الأبناء، وتعليمهم كيفية التعامل بحذر مع الإنترنت. قال النبي ﷺ: "كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته..". (متفق عليه). إن التربية الرقمية أصبحت ضرورة لحفظ قلوب الأجيال القادمة من الفساد والانحراف.

أثبتت التكنولوجيا الحديثة أنها سلاح ذو حدين، فقد أتاحت لنا فرصاً لنشر العلم والخير، لكنها في الوقت ذاته أدخلت على القلوب فتناً ومخاطر غير مسبوقه. ولذلك، فإن حفظ القلب في العصر الرقمي يتطلب وعياً، وإرادة، وتوازناً، بحيث يستفيد المسلم من التكنولوجيا دون أن يفقد صفاء قلبه، أو يقع في حبال الفتن والشهوات.

الموضوع الرابع: آليات تفعيل مقصد "حفظ القلب" في التشريع والاجتهاد الفقهي

تفعيل مقصد "حفظ القلب" في الأحكام الفقهية

أولاً: تفعيل مقصد "حفظ القلب" في العبادات

العبادات في الشريعة الإسلامية تهدف إلى تركيبة النفس وتطهير القلب من الشوائب، حيث إن القلب هو محل النية والإخلاص.

1. الصلاة وحفظ القلب:

○ نية الصلاة: النية ركن أساسي في الصلاة، ولا تصح الصلاة إلا بنية صالحة تنبع من القلب. وضرورة حضور القلب عند أداء الصلاة، فالصلاة ليست مجرد حركات ظاهرية، بل تتطلب نية قلبية خالصة لله. جاء في الشرح الكبير للدردير المالكي متحدثاً عن فرائض الصلاة: " (نية الصلاة المعينة) بأن يقصد بقلبه أداء فرض الظهر مثلاً".

○ الخشوع في الصلاة: الخشوع هو حضور القلب، وقد وصف الله المؤمنون بالفلاح، فقال: "الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ" (المؤمنون: 2). يقول ابن القيم رحمه الله، "والفرق بين خشوع الإيمان وخشوع النفاق أنَّ خشوع الإيمان هو خشوع القلب لله بالتعظيم والإجلال والوقار والمهابة والحياء، فينكسر القلب لله كسرةً ملتزمةً من الوجل والحنجل والحبِّ والحياء، وشهود نِعَم الله، وجنباياته هو، فيخشع القلب لا محالة، فيتبعه خشوع الجوارح. وأما خشوع النفاق، فيبدو على الجوارح تصنعاً وتكلفاً، والقلب غير خاشع. وكان بعض الصحابة يقول: أعوذ بالله من خشوع النفاق. قيل له: وما خشوع النفاق؟ قال: أن يُرى الجسد خاشعاً، والقلب غير خاشع لذلك، فإن تفعيل مقصد "حفظ القلب" يتطلب الحرص على تحقيق الخشوع في الصلاة" (Ibn Qayyim, 2019).

2. الصيام وحفظ القلب:

- تقوى القلب: قال الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" (البقرة: 183). يهدف الصيام إلى تحقيق التقوى في القلب، وحفظه من الشهوات والغرائز، حيث يمتنع الصائم عن الأكل والشرب وسائر المفطرات، مما يسهم في تقوية الإرادة والسيطرة على النفس.
- ضبط الشهوات القلبية: خلال الصيام، يُطلب من المسلم السيطرة على شهواته، لا سيما الشهوة الباطنة كالغضب والحقد، مما يعزز مقصد حفظ القلب.

3. الزكاة وحفظ القلب:

- تطهير القلوب من حب المال: قال الله تعالى: "خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا" (التوبة: 103) الزكاة تهدف إلى تطهير قلوب الأغنياء من الشح والجشع، وتطهير قلوب الفقراء من الحقد والحسد. وبذلك، ينعكس أثرها المباشر في حفظ القلوب من الأمراض الباطنية.

4. الحج وحفظ القلب:

- تطهير القلب: قال النبي ﷺ: "من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه" (متفق عليه) (Al-Nawawī, 2002). إن الحج يُعد رحلة قلبية قبل أن يكون رحلة جسدية، حيث يربط الإنسان بربه، ويطهر قلبه، ويزيل الأحقاد والضغائن التي قد تكون علقته في قلبه.

ثانياً: تفعيل مقصد "حفظ القلب" في المعاملات المالية

تحتل المعاملات المالية مساحة كبيرة في الفقه الإسلامي، وهي مجال خصب لتفعيل مقصد "حفظ القلب"، حيث ترتبط بالمقاصد المالية (حفظ المال) من جهة، وبصلاح القلب من جهة أخرى.

1. تحريم الربا وحفظ القلب من الطمع والجشع:

○ قال الله تعالى: "وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا" (البقرة: 275). الربا يُفسد القلوب بالطمع والجشع، ولذلك جاء تحريمه لحماية قلوب الناس من الاستغلال المادي، ولتعزيز الرحمة والتكافل الاجتماعي.

2. تحريم الغش وحفظ القلب من الخداع:

○ قال النبي ﷺ: "من غش فليس منا" (مسلم، 2000). الغش سلوك ينشأ من قلب مريض بحب الذات والطمع، ولذلك فإن تفعيل مقصد "حفظ القلب" يقتضي حماية القلب من الخداع والغش في المعاملات التجارية.

3. تشجيع الصدق والأمانة في البيع والشراء:

○ قال النبي ﷺ: "الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَفْتَرِقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيْنَا بُرُوكَ لهما في بَيْعِهِمَا" (البخاري، 1987). تعزيز مبدأ الصدق والأمانة في البيع والشراء يسهم في تنقية القلوب من الغش والكذب، مما يحقق مقصد "حفظ القلب".

دور العلماء والمجتهدين في تفعيل مقصد "حفظ القلب"

أولاً: إدخال مقصد "حفظ القلب" في الاجتهاد الفقهي

1. تضمين مقصد "حفظ القلب" ضمن مقاصد الاجتهاد: يجب على المجتهدين

إدراج مقصد "حفظ القلب" عند إصدار الأحكام الشرعية، تمامًا كما يُراعى

مقصد "حفظ الدين" و"حفظ النفس". فالقلب إذا فسد، فسد العمل كله.

2. تفسير النصوص الشرعية في ضوء "حفظ القلب": يجب على العلماء والمجتهدين تفسير النصوص المتعلقة بأحكام العبادات والمعاملات في ضوء مقصد "حفظ القلب"، فمثلاً، عند النظر في أحكام الصدقة، يمكن تحليل أثر الصدقة في تطهير القلب من البخل والشح.

ثانياً: دور المجامع الفقهية والمؤسسات الشرعية

1. تبني مقصد "حفظ القلب" في الفتاوى المعاصرة:

○ توجيه الفتاوى نحو مراعاة الجانب القلبي في المسائل المعاصرة.

2. تعزيز التربية القلبية في المناهج التعليمية:

○ تضمين قيم وأخلاقيات حفظ القلب في مناهج التربية والتعليم، لتربية الأجيال

على حب التسامح، والابتعاد عن الحقد، والحرص على صلاح النوايا.

وسائل تربوية وأخلاقية لحفظ القلب

أولاً: وسائل تربوية لحفظ القلب

1. المراقبة الذاتية ومحاسبة النفس: قال الله تعالى: "بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ"

(القيامة: 14). المراقبة الذاتية تُعد من أهم الوسائل التربوية التي تعزز نقاء القلب

وتمنع الانحرافات النفسية.

○ **المداومة على الذكر والدعاء:** الذكر والدعاء وسيلتان لحفظ القلب والوقاية

من الحقد والبغضاء، حيث إن القلب المتصل بالله يصبح قلباً نقيًا. كما أن

ذكر الله يورث الطمأنينة قال تعالى: "الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ

أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ" (الرعد: 28).

ثانياً: وسائل أخلاقية لحفظ القلب

1. الصدق في الأقوال والأفعال:

○ قال الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ" (التوبة:

119). الصدق يؤدي إلى نقاء القلب، ويقوي العلاقة بين المسلم وربه.

2. الابتعاد عن الحسد والبغضاء:

○ قال النبي ﷺ: "لا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله

إخواناً" (مسلم، 2000). يرسخ الحديث قيمة عظيمة في الإسلام، وهي

تحقيق الصفاء القلبي والعلاقات السليمة بين المسلمين. فالنهي عن الحسد،

والبغضاء، والتدابير، إنما هو دعوة لحفظ القلب من أمراضه التي تعكر صفاء

العلاقات بين الأفراد، مما يحقق مقصد "حفظ القلب" الذي يعد أساساً

لصلاح الإنسان والمجتمع. فالقلوب إذا طهرت من الحسد والكراهية، ساد

الحب والرحمة، وتحققت الأخوة الإيمانية الحقيقية.

منع الإكراه كوسيلة لحفظ القلب في التشريع الإسلامي

أولاً: عدم الإكراه في الدين

يؤكد الإسلام على مبدأ حرية العقيدة وعدم الإكراه في الدين، كما جاء في قوله تعالى: "لا

إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۗ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۗ" (البقرة: 256). الإيمان في الإسلام يعتمد

على القناعة القلبية والاختيار الحر، حيث لا يمكن للإجبار أن يُنتج إيماناً حقيقياً، بل قد

يؤدي إلى النفاق. كذلك، رفع الله الحرج عن المكرهين على أمور دينية إذا كان قلبهم مطمئناً

بالإيمان، كما قال تعالى: "إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ۗ" (النحل: 106). إن

الشريعة الإسلامية تسعى إلى ضمان الإيمان القلبي الصادق بعيداً عن الإكراه، لأن الإجبار

قد يسبب مشاعر الكراهية والاضطراب القلبي، مما يفسد الهدف الأسمى للإيمان وهو

الطمأنينة والسلام الداخلي.

ثانياً: عدم الإكراه في الزواج

يقوم الزواج في الإسلام على مبدأ الرضا التام للطرفين، ولا يجوز إكراه المرأة على الزواج بمن لا ترغب فيه، كما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لَا تُنكحُ الأيمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ، وَلَا تُنكحُ البكرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ" (متفق عليه). إن إجبار المرأة على الزواج يؤدي إلى اضطرابات في قلبها، مثل الحزن والكآبة والرفض الداخلي، مما ينعكس سلباً على العلاقة الزوجية. تهدف الشريعة إلى حماية القلب من هذه المشاعر السلبية، حيث إن الزواج الذي يُبنى على الإكراه قد يؤدي إلى مشاعر الندم والكراهية، مما يهدد استقرار الأسرة. لذا، يظل رضا القلب شرطاً أساسياً لضمان حياة زوجية سعيدة ومستقرة.

ثالثاً: عدم الإكراه في المعاملات المالية

يُعد الرضا القلبي في المعاملات المالية أساساً لصحة العقود، كما ينص المبدأ الفقهي "الرضا أساس العقود". فلا يجوز بيع أو شراء إذا كان أحد الطرفين مكرهاً، حيث قال النبي ﷺ: "إنما البيع عن تراضٍ" (ابن ماجه، 2009). إن الإكراه في المعاملات المالية يولد مشاعر الغضب والحقد في قلب المكره، مما يتعارض مع مقاصد الشريعة الإسلامية التي تهدف إلى حفظ الطمأنينة القلبية وراحة النفس. الإسلام يسعى لضمان رضا القلب في جميع المعاملات، ليحقق الاستقرار والعدالة في العلاقات المالية، ويحمي من الآثار السلبية التي قد تنجم عن الإكراه.

يوضح هذا القسم أهمية تفعيل مقصد "حفظ القلب" في التشريع والاجتهاد الفقهي من خلال تناول الأحكام الشرعية التي تضمن سلامة القلب، ومراعاة الجوانب القلبية في الاجتهادات المعاصرة. كما تم تسليط الضوء على منع الإكراه كوسيلة أساسية لحماية القلب من الضغوط النفسية والمشاعر السلبية، مما يعزز حرية الإنسان في الدين والمعاملات والعلاقات الاجتماعية. بالإضافة إلى ذلك، تم اقتراح وسائل تربوية وأخلاقية تدعم حفظ

القلب، بما يسهم في تحقيق المقاصد الكلية للشريعة الإسلامية وبناء مجتمع متوازن ومستقر نفسيًا وروحياً.

النتائج والتوصيات:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد استعراض محاور البحث حول "حفظ القلب" كمقصد مُكَمَّل مع المقاصد الخمسة الأصلية، ضمن مقاصد الشريعة الإسلامية، يمكن استخلاص مجموعة من النتائج الجوهرية والتوصيات الهامة التي تعزز من فكرة إدراج هذا المقصد ضمن المقاصد الكلية للشريعة.

أولاً: أهم النتائج

1. أهمية القلب في التشريع الإسلامي: تبين أن القلب ليس مجرد عضو مادي في جسم الإنسان، بل هو جوهر الحياة الروحية، ومصدر النوايا، والأخلاق، والتقوى. النصوص القرآنية والأحاديث النبوية أكدت أن القلب هو محل الإيمان والكفر، وهو الأساس الذي تُبنى عليه أعمال الإنسان. قال النبي ﷺ: "أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضَغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ" (متفق عليه). ومن هذا المنطلق، فإن صلاح القلب يعكس صلاح الجسد كله، وهو ما يبرر ضرورة حفظه كقصد مستقل.
2. التأصيل الشرعي لمقصد "حفظ القلب": استندت فكرة "حفظ القلب" إلى الأدلة الشرعية المستخرجة من القرآن الكريم والسنة النبوية، مثل قوله تعالى: "يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89)" (الشعراء: 88-89). كما دلت نصوص الأحاديث النبوية، لا سيما حديث النية، على أن نية العمل ومحلها القلب، مما يؤكد أن حماية القلب من الرياء والشهوات واجبة لتحقيق مقصد "حفظ القلب".

3. علاقة مقصد "حفظ القلب" بمقاصد الشريعة الخمسة: تبين من خلال البحث أن "حفظ القلب" يتكامل مع المقاصد الخمسة الكلية للشريعة، حيث يساهم حفظ القلب في حفظ الدين من خلال تعزيز التقوى والإخلاص، وفي حفظ النفس من خلال الوقاية من الأمراض القلبية كالغسل والحقد، وفي حفظ العقل من الشبهات، وفي حفظ النسل من الشهوات، وفي حفظ المال من الطمع والجشع. وبالتالي، فإن "حفظ القلب" ليس مقصدًا منعزلاً، بل هو مقصد يخدم المقاصد الخمسة الأخرى.

4. أثر حفظ القلب في الحياة الفردية والاجتماعية: تبين أن حفظ القلب له تأثير مباشر في الفرد، حيث يُصلح سلوك المسلم، ويجعل أفعاله وأقواله خالصة لوجه الله، مما يؤدي إلى الطمأنينة النفسية والاستقرار النفسي. أما على المستوى الأسري، فإن حفظ القلب يعزز روح المحبة والتسامح بين أفراد الأسرة، كما يساهم في بناء مجتمع خالٍ من الحقد والضغينة. أما في البعد الاقتصادي، فإن حفظ القلب من الطمع والجشع يعزز قيم الأمانة والصدق في المعاملات المالية، مما يساهم في تحقيق العدالة الاقتصادية.

ثانياً: التوصيات

1. تبني مقصد "حفظ القلب" ضمن مقاصد الشريعة الكلية: يوصي الباحث المجمع الفقهية والمؤسسات العلمية بإدراج "حفظ القلب" كمقصد مستقل ضمن مقاصد الشريعة، بجانب المقاصد الخمسة المعروفة (حفظ الدين، النفس، العقل، النسل، المال). وذلك لما له من تأثير عميق في ضبط سلوك الفرد والمجتمع، ودوره الأساسي في تحقيق الصلاح العام.

2. تضمين "حفظ القلب" في المناهج التربوية والتعليمية: من الضروري إدراج المزيد من موضوعات تربوية ترتبط بـ"حفظ القلب" في مناهج التربية الإسلامية، حيث يتم تعليم الطلاب أهمية الصفاء القلبي والابتعاد عن الحقد، الحسد، والرياء، وتشجيعهم على التمسك بقيم التسامح والصدق.
3. تعزيز المحتوى الرقمي الإيجابي والبديل الهادف: يُوصى بتوفير بدائل رقمية هادفة تسهم في تعزيز نقاء القلب، بدلاً من مجرد الحدّ من الاستخدام غير المفيد للتكنولوجيا. يمكن تحقيق ذلك من خلال دعم المنصات الإلكترونية التي تقدم محتوى إيماني، وثقافي، وتعليمي مفيد، وتشجيع متابعة الحسابات والبرامج التي تعزز القيم الروحية والأخلاقية. كما يمكن تطوير تطبيقات إسلامية تفاعلية تساعد الأفراد على الموازنة بين التكنولوجيا والروحانية، مثل تطبيقات الذكر والقرآن، وبرامج التأمل والتربية الإيمانية، مما يتيح بيئة رقمية تساهم في تنمية القلب وحمايته من المؤثرات السلبية.
4. تعزيز الخطاب الديني والإعلامي حول أهمية القلب: يُوصي الباحث العلماء والخطباء بالتركيز على المزيد من توعية الناس بأهمية القلب في الإسلام، مع توضيح كيف أن القلب هو الأساس في قبول العمل، وأن تطهيره هو السبيل لتحقيق رضا الله. ويمكن الاستفادة من وسائل الإعلام المعاصرة لنشر هذه القيم.
5. البحث في الأمراض القلبية المعنوية وعلاجها: يُوصي الباحث بإجراء المزيد من الدراسات التطبيقية حول "الأمراض القلبية المعنوية" مثل الحقد، والحسد، والكبر، والرياء، مع اقتراح آليات تربوية وعلاجية لحماية القلوب من هذه الآفات.
6. تفعيل مقصد "حفظ القلب" في الاجتهاد الفقهي: يوصي الباحث إلى ضرورة إدراج "حفظ القلب" ضمن مقاصد الشريعة التي يراعيها المجتهدون في اجتهاداتهم. وقد تبين أن مراعاة هذا المقصد في فقه العبادات، والمعاملات، والعقوبات، يسهم في تحقيق الارتقاء الإنساني وحماية المجتمع من الفتن والمعاصي. على سبيل المثال،

اشتراط النية في العبادات، والمعرفة بأحكام المعاملات المالية كالربا والغش يعكس مراعاة مقصد "حفظ القلب".

7. تشجيع الأبحاث الفقهية حول "حفظ القلب": يُوصي الباحث؛ الباحثون في الفقه وأصوله بإجراء دراسات معمقة حول كيفية تفعيل مقصد "حفظ القلب" في أبواب الفقه المختلفة، مثل فقه العبادات (الصلاة، الصوم، الحج) والمعاملات (البيع، الربا، الرشوة) والحدود (القتل، السرقة) وغيرها من الأحكام الشرعية.

الخاتمة

في الختام، يتضح أن "حفظ القلب" هو مقصد أصيل في الشريعة الإسلامية، وهو الأساس الذي تنبني عليه المقاصد الأخرى. فالقلب هو محل الإيمان، والنية، والتقوى، وصلاحه يعني صلاح الأفعال والأقوال. وقد ثبت من خلال البحث أن النصوص القرآنية والأحاديث النبوية تدعم فكرة "حفظ القلب" كمقصد كلي، كما تبين أن له آثارًا على الفرد، والأسرة، والمجتمع.

إن الدعوة إلى إدراج "حفظ القلب" ضمن مقاصد الشريعة ليست مجرد مطلب علمي، بل هي ضرورة دينية واجتماعية. فلا يمكن تحقيق الأمن الروحي والاجتماعي والاقتصادي إلا بحفظ القلوب من الحقد، والحسد، والكبر، وضمان نقاء النية والإخلاص في العبادة والمعاملات. وبناءً على ذلك، يدعو البحث المجامع الفقهية، والخطباء، والمعلمين، والمربين، إلى الاهتمام بهذا المقصد، وتعزيز مكانته في الخطاب الفقهي والديني المعاصر. نسأل الله أن يطهر قلوبنا، ويجعلنا من الذين يأتونه "بقلب سليم"، وأن يجعل هذا البحث نافعًا للأمة الإسلامية، ومساهمة فعّالة في تحديد الخطاب المقاصدي، بما يخدم حاجات الناس ويحقق مصالحهم في الدنيا والآخرة.

شكر وتقدير

أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى قسم الفقه وأصول الفقه، عبد الحميد أبو سليمان - كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية - الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، على دعمهم الأكاديمي وإسهامهم العلمي في إثراء الدراسات الفقهية والمقاصدية. إن جهود هذا القسم المبارك في تعزيز البحث العلمي وتقديم بيئة أكاديمية متميزة كان لها بالغ الأثر في تطوير البحوث وإثراءها. فجزى الله أساتذته وباحثيه خير الجزاء، وبارك في عطائهم وجهودهم في خدمة العلم والمعرفة.

تضارب المصالح

يقر الباحث بعدم وجود أي تضارب مصالح مالية أو شخصية أو غير ذلك فيما يتعلق بإعداد هذا البحث.

مساهمات الباحث

يقدم هذا البحث مساهمة نوعية في علم مقاصد الشريعة من خلال اقتراح "حفظ القلب" كمقصد شرعي مكمل إلى جانب المقاصد الكلية أو الضروريات الخمس. كما يبرز البحث أهمية حفظ القلب في التشريع والاجتهاد الفقهي، ويوجه الفكر المقاصدي نحو قضايا حديثة. وبهذا، يساهم البحث في تطوير رؤية شاملة لمقاصد الشريعة.

References

- Al-Qur'ān al-Karīm
 Al-Sunnah al-Nabawiyyah
 Al-'Uthaymīn, M. b. Ṣ. (2004). *Sharḥ al-Arba 'īn al-Nawawiyyah* (3rd ed.). Riyadh, Saudi Arabia: Dār al-Thurayyā li-al-Nashr.
- Al-Baghawī, A. M. al-Ḥ. b. M. (2002). *Ma'ālim al-Tanzīl fī Tafsīr al-Qur'ān* (4th ed., Vols. 1–8). Riyadh, Saudi Arabia: Dār Ṭayyibah.
- Al-Bugha, M. D., & Musto, M. D. (2010). *Al-Wafī fī Sharḥ al-Arba'in al-Nawawiyyah [Comprehensive Explanation of the Forty Nawawi Hadiths]* (2nd ed.). Dimashq, Syria: Dar al-Mustafa.
- Al-Bukhārī, M. B. 'I. (1987). *Al-Jāmi' Al-Ṣaḥīḥ* (1st ed.). Al-Qāhirah, Egypt: Dār al-Syacb.
- Al-Ghazālī, A. Ḥ. M. B. M. (1982). *Iḥyā' 'Ulūm al-Dīn* (1st ed.). Bayrūt, Lebanon: Dār al-Ma'rifah.
- Al-Ghazālī, A. Ḥ. M. B. M. (1993). *Al-Muṣṭafā* (M. 'A. al-S. 'A. al-Shāfi, Ed.). Beirut, Lebanon: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah.
- Al-Nawawī, Y. B. S. (2002). *Riyāḍ al-Ṣāliḥīn min Kalām Sayyid al-Mursalīn* (1st ed.). Bayrūt, Lebanon: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah.
- Al-Qaradāwī, Y. (2008). *Dirāsah fī Fiqh Maqāsid al-Sharī'ah bayn al-Maqāsid al-Kulliyyah wa al-Nuṣūṣ al-Juz'iyyah* (3rd ed.). Al-Qāhirah, Egypt: Dār al-Shurūq.
- Al-Qurṭubī, M. b. A. (2006). *Al-Jāmi' li-Aḥkām al-Qur'ān wa-al-Mubayyin li-Mā Taḍammana Min al-Sunnah wa-Āyāt al-Furqān* (Vols. 1–20). Al-Qāhirah, Egypt: Dār al-Kutub al-Miṣriyyah.
- Al-Sa'dī, 'A. b. N. (2000). *Taysīr al-Karīm al-Raḥmān fī Tafsīr Kalām al-Mannān* (15th ed.). Riyadh, Saudi Arabia: Mu'assasat al-Risālah.
- Al-Sha'rāwī, M. M. (1997). *Tafsīr al-Sha'rāwī: Al-Khawāṭir* (Vols. 1–20). Cairo, Egypt: Maṭābi' Akhbār al-Yawm.
- Al-Shāṭibī, I. B. M. (1997). *Al-Muwāfaqāt* (1st ed., A. 'U. M. ibn Ḥ. Ā. Salmān, Ed.). Dār Ibn 'Affān.
- Al-Shawkānī, M. b. 'A. (2003). *Nayl al-Awṭār: Sharḥ Muntaqā al-Akḥbār min Aḥādīth Sayyid al-Akhyār* (Vols. 1–8). Beirut, Lebanon: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah.
- Al-Ṭabarī, M. B. J. (2001). *Jāmi' al-Bayān fī Ta'wīl al-Qur'ān* (1st ed.). Bayrūt, Lebanon: Dār al-Fikr.
- Ibn 'Abd al-Salām, 'I. 'A. (1991). *Qawā'id al-Aḥkām fī Maṣāliḥ al-Anām* (Rev. Ṭ. 'A. al-R. S.). Cairo, Egypt: Maktabat al-Kulliyāt al-Azharīyah.

- Ibn 'Ashūr, M. Ṭ. (2009). *Maqāṣid al-Sharī'ah al-Islāmiyyah* (1st ed.). Al-Qāhirah, Egypt: Dār al-Salām.
- Ibn Kathīr, I. B. 'U. (1999). *Tafsīr al-Qur'ān al-'Azīm* (1st ed.). Bayrūt, Lebanon: Dār al-Fikr.
- Ibn Mājah, M. b. Y. Q. (2009). *Sunan Ibn Mājah* (S. A. & 'A. M., Eds.). Beirut, Lebanon: Mu'assasat al-Risālah.
- Ibn Manzūr, M. b. M. (1993). *Lisān al-'Arab* (3rd ed., Vols. 1–15). Beirut, Lebanon: Dār Ṣādir.
- Ibn Qayyim al-Jawziyya. (2019). *Al-Rūḥ* (M. A. A. al-Iṣlāhī, Ed.; K. M. Qālmī, Hadīth Compiler; S. A. al-'Arīfī & J. M. al-Jadī', Reviewers) (3rd ed.). Riyadh, Saudi Arabia: Dār 'Atā'āt al-'Ilm; Beirut, Lebanon: Dār Ibn Ḥazm.
- Ibn Taymiyyah, A. b. A. H. (2004). *Majmū' al-Fatāwā*. Al-Madīnah al-Munawwarah, Saudi Arabia: Muḥamma' al-Malik Fahd li-Ṭibā'at al-Muṣḥaf al-Sharīf.
- Ma'a Allah. (2025). *Maḥmūm al-Qalb fī al-Qur'ān al-Karīm*. Retrieved January 18, 2025, from <https://maa-allah.com>
- Ma'jam al-Dawha al-Tārīkhī li-al-Lugha al-'Arabiyya. (n.d.). Retrieved January 20, 2025, from <https://www.dohadictionary.org>
- Muslim Bin al-Ḥajjāj. (2000). *Ṣaḥīḥ Muslim* (1st ed.). Bayrūt, Lebanon: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah.
- Quṭb, S. (2003). *Fī Zilāl al-Qur'ān* (32nd ed., Vols. 1–4). Cairo, Egypt: Dār al-Shurūq.